دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

النهضة العلمية في مدينة أصفهان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٣ - ١٠٩٢م)

أ.د. شوكت عارف محمد الأتروشي
قسم التاريخ – فاكولتي العلوم الإنسانية
جامعة زاخو
جمهورية العراق

مُلَخّص

البحث الذي بين أيدينا مُحاولة لاستعراض جوانب الحركة العلمية بمدينة أصفهان على عهد السلطان ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٢م)،باعتبار أن فترة حكمه كانت تُمثل مرحلة مُهمة في تاريخ أصفهان بعد أن اتخذها عاصمة لمملكته المترامية الأطراف، وترتب على ذلك القرار الكثير من الآثار الإيجابية، كانتعاش الحياة الاقتصادية، وازدهار الجوانب العمرانية، وبروز الحركة العلمية في أصفهان أكثر من أي وقت مضى حتى غدت المدينة في عهد ملكشاه من المدن الكبيرة، وشيدت فيها المباني الفخمة، كما غدت من المراكز العلمية المشهورة في العالم الإسلامي بفضل دعمه ورعايته للحركة العلمية، فقد عمل مع وزيره نظام الملك على تشجيع العلوم، وإكرام العلماء، والإحسان اليهم، كما عملا معًا على تشييد الكثير من دور العبادة، والعلم ليس ذلك وحسب، بل أصبحت مجالسهما الخاصة عامرة بالعلماء، مما أسهم في بروز نهضة علمية في أصفهان بدت مظاهرها جلية للعيان، وظهر بها الكثير من العلماء الأجلاء ممن ذاع صيتهم في أرجاء المعمورة، وشد لهم الرحال، وصارت أصفهان محط رحال الكثير من العلماء، ولذلك ارتأينا تخصيص بحثنا للحديث عن مظاهر النهضة العلمية التي شهدتها أصفهان في فترة حكم ملكشاه، والوقوف على أبرز النتائج والآثار التي تمخضت عن ذلك.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٦ يونيو ٢٠٢٢
تاريخ قبـول النشـر: ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

ملكشاه؛ أصفهان؛ السلاجقة؛ النهضة العلمية؛ المشرق الإسلامي

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.297240

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

شوكت عارف محمد الأتروشي. "النهضة العلمية في مدينة أصفهان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٣ - ١٠٩٢ م)".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد السابع والخمسون؛ سبتمبر ٢٠٢٢. ص ٧٢ – ٨٨.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: Shawkat.a.mohammed@uoz.edu.krd
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدّمَةٌ

تُمثل مدينة أصفهان من المدن الإيرانية العريقة بتاريخها، وحضارتها، وقد أهلّها موقعها المتّميز، واعتدال المناخ، ووفرة المياه، والموارد الطبيعية فيها أن استقرت فيها مجموعات مُختلفة من الأعراق، والطوائف، سكنها بالإضافة إلى الفرس، الكرد، والعرب، واليهود، والنصارى، وغيرهم، وكانت بمثابة القاعدة الإدارية لبلاد فارس طيلة العصر الراشدي، وفي العصر العباسي شهدت المدينة الكثير من الأحداث والثورات الساخنة، كما حظيت أصفهان أيام السلاجقة بمكانة عظيمة، لا سيما في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٢م) الذي اتخذها عاصمة لمملكته المترامية الأطراف، وقد تميّز السلطان ملكشاه بامتثاله الآداب الإسلامية، ولعب دورًا كبيرًا في إرساء دعائم الدولة، وانتصاراتها العسكرية، والفكرية على أعداءها من الباطنية، والملاحدة، وأثبت مقدرة فائقة في الحرب، ورغبة جامحة في الإصلاح، والإعمار حتى عدّه البعض بأنه المؤسس الحقيقي للإمبراطورية السلجوقية وذلك بفضل جهوده ونشاطه وحنكته، وقد برزت مدينة أصفهان في عهده، وغدت من المراكز العلمية المشهورة بفضل دعمه ورعايته للحركة العلمية، فقد عمل مع وزيره نظام الملك على تشجيع العلوم، وإكرام العلماء، والإحسان إليهم، كما عملا معًا على تشييد الكثير من دور العبادة، والعلم ليس ذلك وحسب، بل أصبحت مجالسهما الخاصة عامرة بالعلماء، مما أسهم في بروز نهضة علمية في أصفهان بدت مظاهرها جلية للعيان، وظهر بها الكثير من العلماء الأجلاء ممن ذاع صيتهم في العالم الإسلامي، وشد لهم الرحال، وصارت أصفهان محط رحال الكثير من العلماء، ولذلك ارتأينا تخصيص بحثنا للحديث عن النهضة العلمية التي شهدتها أصفهان في فترة حكم ملكشاه رغبة منا في الاطلاع على مظاهر الحركة العلمية، وعوامل ازدهارها، والأثار الإيجابية وانعكاسها على واقع الحياة في أصفهان بعد أن أصبحت عاصمة السلاجقة.

وتمّ تقسيم البحث الى أربعة مباحث، المبحث الأول: تمّ فيه التعريف بمدينة أصفهان، تسميتها، ومقوماتها الاستراتيجية، وأبرز عناصر السكان فيها، مع استعراض مُوجز لجوانب التاريخ السياسي للمدينة قبل سيطرة السلاجقة عليها. والمبحث الثاني: تمّ التطرق الى الجهود السياسية، والعسكرية التي بذلها السلاجقة في عد السلطان طغرلبك من أجل ضم مدينة أصفهان وإخراجها من دائرة النفوذ الغزنوي، كما تمّ استعراض الجهود التي بذلها السلطان ملكشاه من أجل توسيع حدود دولته، وترسيخ سلطته في أصفهان، فقد بذل جهوداً حثيثة لإعادة الأمن، والاستقرار للمدينة، وعموم مملكته المترامية الأطراف، حيث أنفق فيها الكثير من الأموال لتثبيت دعائم حكمه، وأقام بها الكثير من دور العلم، والمشاريع، والعمائر الفخمة، والحدائق، حتى بلغت أصفهان في عهده من العمران، والاستقرار درجة تحسدها عليها كبريات المدن الأخرى.

والمبحث الثالث: خُصّص للحديث عن اهتمام السلطان ملكشاه، والسلاجقة عمومًا للحركة العلمية، وماهية العوامل التي ساهمت في النهضة العلمية بأصفهان، خاصة فيما يتعلق باهتمام ملكشاه، ووزيره نظام الملك بالعلم، والعلماء، وبنائهم للمراكز العلمية، وحضورهم مجالس الوعظ، وإكرامهم للعلماء، كما تطرقنا الى أهمية الرحلة في طلب العلم، وكذلك الصراع الفكري، والمذهبي في أصفهان، وأثره على الحركة العلمية آنذاك. والمبحث الرابع، والأخير: خُصّص للحديث عن مظاهر الحركة العلمية في أصفهان على عهد السلطان ملكشاه مُستعرضين العلوم التي حظيت باهتمام الناس كعلوم الدين، واللغة، والأدب، وبعض العلوم العقلية كالفلك، مع الإشارة الى أهم المراكز العلمية التي تمّ تشييدها في المدينة، ومشاهير العلماء، ونتاجاتهم العلمية، واختتم البحث بذكر أبرز الاستنتاجات البحثية.

ولعّل من أبرز المصادر والمراجع التي تمّ الرجوع إليها في كتابة هذا البحث هي المصادر الخاصة بتاريخ السلاجقة، وكتب الرحالة، والبلدانيين نذكر منها على سبيل المثال تاريخ أصفهان، لأبو نعيم الأصفهاني(ت: ٤٣٠هـ/ ١٠٣٧م)،وكتاب محاسن أصفهان للمافروخي (من علماء القرن ٥هـ/ ١١م)، وكتاب خريدة القصر وجريدة العصر، قسم أصفهان، وخراسان، للأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، وزبدة التواريخ، أو أخبار الأمراء والملوك السلجوقية لصدر الدين الحسيني (ت: بعد ٦١٢هـ/ ١٢٢٥م)، وكتاب تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري (ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وراحة الصدور وآية السرور، للراوندي (ت:٥٩٩هـ/ ١٠٩٩م)، كما تمّ الرجوع للعديد من المراجع، من أهمها: كتاب الحياة الفكرية في أصفهان حتى الغزو المغولي، لمؤلفه: يوسف، محمد عبدالعظيم، وأصفهان منذ الفتح الإسلامي الى نهاية العصر العباسي الأول، لغادة كمال السيد. وغيرها من المراجع والدوريات.

أولًا: لمحة تاريخية عن مدينة أصفهان

تمُثل مدينة أصفهان[١] من المدن الإيرانية العريقة بتاريخها، يعتقد البعض أن الأريون هم من بنوا المدينة استنادًا الى بعض الأدلة والشواهد، وكانت تسمى طابة[٢]، بينما يرجع البعض بناءها إلى الإسكندر المقدوني[٣]، وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال [٤]، وكان يضم أربع مدن هي: قرميسين (كرمنشاه الحالية)، وهمدان، والري، وأصفهان ، ضمن الإقليم الرابع وفقًا لتقسيمات البلدانيين المسلمين[٥] على بعد ٣٤٠كم جنوب طهران، يحدها من الشمال الشرقي المفازة الكبرى(الصحراء)، وحدد أبو نعيم الأصفهاني حدودها بأنها تمتد "ما بين أطراف همدان، وماه، ونهاوند الى أطراف كرمان، وما بين أطراف الري، وقومس الى أطراف فارس، وخوزستان"[٦]، وقدّر البعض مساحة أراضيها الشاسعة بثمانين فرسخًا في مثلها[٧]، وذكر ياقوت أنّ طول أصفهان أربع وسبعون درجة وثلثان، وعرضها أربع وثلاثون ونصف[٨].

وقد أهلّها موقعها أن تكون مركزًا للمواصلات، فهي تقع في قلب منطقة تنفتح شرقًا نحو باقي ايران، كما أنها تشرف على الممرات المتجهة غربًا، والتي تخترق جبال زاكروس الى سهول الفرات، وبفضل موقع أصفهان، وتاريخها، وعراقتها أصبحت تتمتع بمكانة عالية بين كافة المدن الإيرانية مما جعل القزويني(ت: ٦٢٨هـ/ ١٢٨٣م):يصفها "أنها من أعلام المدن ومشاهيرها، جامعة لاشتات الأوصاف الحميدة"[٩]، وقال الاصطخري (ت: توفي النصف الأول من القرن ٤هـ/ ١٠م) أنه ليس من العراق الى خراسان مدينة بعد الري اكبر من أصفهان، وأكثر خيرًا منها[١٠]، وقال عنها المافروخي (ت: من علماء القرن ٥هـ/ ١١م) بأنها "سرة الأرض وغرتها وسيدة البلدان "[١١]، وأشاد ابن حوقل (ت: ٣٧٠هـ/ ٩٩٢م) بمكانتها بقوله:" أنها فرضة لفارس والجبال وخراسان وخوزستان"[١٢]، ووصفها ياقوت الحموي(ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) بأنها: "مدينة عظيمة "[١٣]، أما الرحالة ناصر خسرو الذي زارها سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م فقال عنها: بأنها اكبر مدن ايران[١٤]، ووصفها ابن الفقيه بأنها "بغداد الثانية."[١٥]

واشتملت أصفهان على مدن وقرى مشهورة، ومن مدنها جَيّ، واليهودية الى جانب العديد من النواحي والرساتيق والكور والقرى المتناثرة، وكان أصفهان تضم مدنًا عديدة قبل الإسلام لم يبقى منها بعد الفتح الإسلامي سوى مدينة جَيّ[١٦]. وما يلفت النظر أن مدينة اليهودية لم يرد لها ذكر عند الفتح الإسلامي لأصفهان، ويبدو أنها كانت قد بُنيت في طرف مدينة جَيّ أو اقتطعت منها لذلك اعتبرها المسلمون جزءًا من جَيّ، ثمّ ما لبثت أن استقلت عن مدينة جي بعد تمصيرها في العصر العباسي، فأصبحت أصفهان تتكون من مدينتين هما جَيّ، واليهودية، وبمرور الزمن فقدت جي أهميتها وخربّت في الوقت الذي ازدهرت فيه اليهودية، وعمّرت حتى أصبحت أصفهان يُشار إليها فيما بعد باسم اليهودية، وكانت أصفهان تضم عددًا كبيرًا من الرساتيق قدّر عددها بستة عشر[١٧]، أو أكثر من ذلك[١٨]،ونحو خمس الأف قرية إلا أنّ ذلك لم يكن ثابتًا على الدوام بل نالته يد التغيير على مر العصور.

وطبقًا لما ذكره البعض كانت أصفهان تضم اثنتي عشر محلة، كل محلة منها كالمدينة، والمنعوت منها شهرستان، ويمر بها نهر (زاينده رود) الذي يُعد من أعظم أنهار أصفهان، ويبلغ طوله أكثر من ٣٦٠كم، فضلًا عن أنهار أخرى تنبع من المدينة، كنهر طاب، ودجيل، ونهر ساوة، بالإضافة إلى مياه الينابيع، والعيون، والأبار، والأمطار الموسمية التي ساهمت في ازدهار المدينة، وكثرة وارداتها الزراعية، والحيوانية [١٩].

وامتازت مدينة أصفهان بموقعها المُتميّز، وتضاريسها الجغرافية المتنوعة، ووفرة المياه، والجبال المنيعة، تحيط بها الجبال من الجنوب، والغرب، أما شمالها، وشرقها فهي سهول، وأراضي خصبة[٢٠]، لذلك فقد تميّزت بتباين درجات الحرارة، والأمطار فيها، وعلى العموم امتاز مناخ أصفهان بالاعتدال، وانتظام فصول السنة، وكان مناخها محل إشادة البلدانيين، قال ابن حوقل عن مناخها بأنه: "يستوقف النظر، وترتاح له النفس ولا يسامه البصر.." [٢١]، ولذلك فضل ملكشاه أصفهان عن سائر المدن في مملكته لتكون عاصمته ومقرًا لحكمه، وأنها كانت أحب البلاد إليه، وكانت مقره الصيفي، وبغداد مقره الشتوي[٢٢] ، كما اشتهرت أصفهان ببساتينها، وحدائقها الغناء، وقد تميّز هواء المدينة بالاعتدال، والنقاء، أشاد بها ناصر خسرو وقال: " ..أنها مُشيّدة على أرض مستوية ماؤها عذب وهواءها عليل"[٢٣]، وقال ياقوت أن هواء أصفهان طيب، وصحي للأبدان.[٢٤]

واشتهرت تربة أصفهان بأنها من أخصب الترب في إقليم الجبال [٢٥]، كما تميّزت بوفرة وعذوبة مياهها الذي تستمده من نهر زنده رود، إضافة الى مياه الأبار والينابيع التي تعتمد عليها قرى ورساتيق المدينة[٢٦]، وكان لثروتها المائية الوفيرة أثر في انعاش الزراعة، وتنوع المحاصيل على اختلافها، كالقطن ،والزيتون، والفواكه مثل المشمش، والتفاح، والرمان، والكمثرى ، والفستق، والبندق، وغيرها من المحاصيل، كما اشتهرت بإنتاج العسل[٢٧].

كما تمتّعت أصفهان بثروتها الحيوانية الكبيرة لما كان فيها من المراعي، والمروج، وكان أهلها يعتمدون على قطعان الأغنام، والماشية في الحصول على الألبان، كما انتشرت في المدينة تربية الابل، والخيول، وحرص أهلها على الاستفادة من ثرواتهم المعدنية كالذهب، والفضة والحديد، والنحاس لاستخدامها في الكثير من الصناعات التي اشتهرت بها المدينة، كصناعة الحديد والأواني النحاسية، والمعدنية النفيسة[٢٨]، ويبدو أن تنوع المنتجات الزراعية، والصناعية فضلًا عما تمتّعت به أصفهان من موقع استراتيجي جعلها مركزًا تجاريًا هامًا، وذكر ناصر خسرو أنه شاهد فيها أسواقًا كثيرة عامرة [٢٩]، وكانت تربط المدينة بغيرها من البلاد، والأقاليم شبكة مواصلات تسلكها القوافل التجارية باستمرار، وتدفقت عليها بضائع الشرق والغرب، وكانت المنسوجات من أهم صادراتها التي كثر عليها الطلب[٣٠]،كما صدّرت الكثير من النتوجات الزراعية وخاصة الفواكه التي كانت تحمل الى العراق وسائر النواحي[٣١]، كما اشتهرت بتصدير الزعفران، والعسل، والسمن[٣٢].

أما بالنسبة الى التركيبة السكانية في أصفهان، فقد كان يعيش فيها خليط من السكان من الفرس، والعرب، والترك، والأكراد، وكان الفرس يُشّكلون الغالبية العظمى من السكان، وقد اعتنق الكثير منه الإسلام عقب الفتح الإسلامي[٣٣]، وأصبحت من حينها أصفهان ولاية تابعة للخلافة الإسلامية تتابع على إدارتها عدد من الولاة كان أولهم السائب بن الأقرع الذي توّلى إدارتها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه"، وكانت أصفهان تتبع والي العراق في العصر الأموي، ونظرًا لغلبة العنصر الفارسي فيها فقد كانت في كثير من الأحيان مركزًا للثورات، والحركات المعادية للدولة الأموية، وملجا لكل هارب[٣٤].

وكان يعيش بالمدينة الكثير من أصحاب الفرق والمذاهب الإسلامية وفي مُقدمتهم السنة لا سيما الشافعية الذين انتشروا في بعض أحيائها [٣٥]، وذكر المقدسي عن مدينة اليهودية أن أهلها:" أهل جماعة وسنة، جامعهم عامر بالجماعات على الدوام"[٣٦]، كما وجد في أصفهان الشيعة الذين انتشروا في أماكن مُتعددة من المدينة، وكان بعضهم من الغلاة المتطرفون[٣٧].

كما كان فيها من بقي على المجوسية (عبدة النار)، وكانت لهم أماكن عبادة خاصة، فقد ذكر ابن حوقل أنه كان في خان لنجان تل عظيم كالجبل عليه قلعة وفيها بيت نار فيقال أن ناره من قديم الأزل[٣٨]، ووجد بيت نار في ماربين غرب أصفهان[٣٩]،

كما كان بالمدينة أتباع الديانة اليهودية الذين سكنوا المدينة منذ القدم حيث يرجع وجودهم الى عهد الملك البابلي بختنصر عندما أجلاهم من الأرض المقدسة فرحلوا الى أصفهان وبنوا لهم في طرف مدينة جي محلة نزلوها وعرفت باسم اليهودية[٤٠]، وأشار ابن الفقيه (ت: أواخر ق ٣هـ/ ٩م) الى كثرة اليهود في أصفهان بقوله" أنه لم ير مدينة أكثر يهودًا ويهودية من أصفهان"[٤١] ، كما كان بها النصارى إلا أنّ أعدادهم كانت قليلة مقارنة مع اليهود[٤٢]، وقد أدى التنوع الديني، والعقائدي فضلًا عن التنوع الاثني في أصفهان الى ازدهار الحركة الفكرية بها.

وفي العصر العباسي زاد الاهتمام بأصفهان ولا سيما في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م) الذي كاد أن يتخذ من أصفهان عاصمة لدولته نظرًا لطيب هوائها وعذوبة مائها إلا أنه عدل عن ذلك، وركّز اهتمامه في إقامة العاصمة بغداد[٤٣]، وكان لأهل أصفهان دور في الكثير من حركات المعارضة للعباسيين كحركة سنباذ سنة (١٣٧هـ / ٧٥٤م) والذي أخذ يطالب بدم أبو مسلم الخراساني[٤٤]، كما ساهموا بحركة الغلاة من الراوندية – نسبة الى قرية روند القريبة من أصفهان- ، وغيرها من الحركات المناهضة، وخضعت أصفهان لحكم وإدارة عدد من الدول المستقلة كالدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م)، والدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ/ ٨٩٧-٩٠٣م)، والبويهيون قبل أن يستولي عليها الغزنويون، ومن بعدهم السلاجقة الذين اعتنقوا الإسلام، وأصبحوا يُمثلون قوة كبيرة في المشرق الإسلامي، لا سيما بعد أن بسطوا نفوذهم على أملاك الدولة الغزنوية، وتأسيس دولتهم التي اعترفت بها الخلافة العباسية.[٤٥]

ثانيًا: أصفهان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي

نالت أصفهان اهتمام السلاجقة منذ عهد السلطان طغرلبك (٣٨٥-٤٥٥هـ/ ٩٥٥-١٠٦٣م) الذي تمكن من إخضاع المدينة لنفوذه المباشر بعد حصاره للمدينة التي كانت تخضع لحكم ظهير الدين أبو منصور فرامرز الكاكوي سنة (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م)، ودام الحصار عليها ما يقارب السنة، جرت خلالها الكثير من الحروب، والمناوشات بينهما، وفي تلك الأثناء أرسل فرامرز الى طغرلبك يعرض عليه الأموال مقابل فك الحصار إلا أن طغرلبك لم يسمع له، فلما نفذت الأقوات في أصفهان، ووصل الأمر الى درجة أن قام أهل أصفهان بهدم الجامع من أجل استخدام أخشابه في التدفئة، ولم تستطع أصفهان مقاومة حصاره وانتهى الأمر بدخول طغرلبك المدينة سنة (٤٤٣هـ/

١٠٥١م)، واستطابها، ونقل ما كان له بالري من أموال وسلاح، وجعلها دار مقامه[٤٦]، وعندما دخلها هدم جزءًا من سورها، وقال: إنما يحتاج الى الأسوار من تضعف قوته فأما من حصّنه عساكره وسيفه فلا حاجة له إليها"[٤٧].

وكان لأصفهان عند طغرلبك مكانة عظيمة لذلك اختارها مقرًا لإقامته، واتبّع سياسة لينة مع أهلها، وأعفاهم من الضرائب، مما ساعد على استتباب أمنها، وازدهارها الاقتصادي، وقد لاحظ ذلك الرحالة ناصر خسرو أثناء زيارته للمدينة، حيث قال: "وصلنا من هناك الى محلة لنجان، ورأيت اسم طغرلبك مكتوبًا على بوابة المدينة، والمكان يبعد عن أصفهان سبع فراسخ، ويعيش أهل لنجان آمنين، هادئين، مُنشغل كل منهم بعمله، وشؤون بيته.."[٤٨]، وذكر خسرو أن السلطان طغرلبك بعد سيطرته على المدينة ولّى عليها شابًا نيسابوريًا لقّبه (الخواجة العميد) [٤٩]، وأمره أن لا يطالب الناس بشيء مدة ثلاث سنوات، فسار على ذلك، وأعاد المهاجرين الى أوطانهم، ثمّ أضاف خسرو بأن أصفهان مرّت بقحط شديد قبل وصوله إليها، وختم حديثه عن أصفهان بأنه لم ير في كل البلاد الفارسية مدينة أجمل ولا اكثر سكانًا وعمرانًا منها، وأنه كان يذهب إليها للاستشفاء[٥٠].

ثمّ تولّى السلطة بعد طغرل بك ابن أخيه الب أرسلان، وحكم حتى سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) بمعونة وزيره نظام الملك الطوسي، فأصبحت أصفهان يومئذ محط أنظار السلطان ووزيره، وعامل أهلها معاملة طيبة، واختارها محلًا لإقامة ولي عهده، لذا عُدّت الأعوام العشرة لحكومة الب أرسلان مُقدمة لاتخاذ أصفهان عاصمة للسلاجقة، فبعد مقتله خلفه ابنه ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م)[٥١]، وكان حينها يبلغ السابعة عشرة من عمره، وخطب له ببغداد، وكتب الى حكام الأقاليم، والأطراف بذلك حتى يطيعوا أمره ويخضعوا له وتوّلى وزارته نظام الملك[٥٢]، ورغم نصيحة البعض لملكشاه باتخاذ نيسابور عاصمة لمملكته[٥٣]، إلا أنه لم يوافقهم الرأي، وفضل أصفهان لتكون عاصمة له، ويبدو أن هناك جملة عوامل شجّعته الى اتخاذ هذا القرار لعّل من أبرزها: تعلقه بأصفهان كونه قد نشأ وتربّى فيها [٥٤]، وأنه على دراية بطبيعة أهلها، وتعلقهم، وحبهم له[٥٥]، فضلًا عما تتمتع به المدينة من موقع مُتّميز، ومناخ معتدل، وطبيعة ساحرة،[٥٦] كما لا ننسى تشجيع وزيره نظام الملك له لكي يجعل من أصفهان مقرًا لحكمه[٥٧]،حكم منها أكبر إمبراطورية إسلامية، إذ وصلت دولة السلاجقة في عهده أقصى اتساعها، وازدهارها، وامتدت حدودها من الصين الى البحر المتوسط، ومن شمال بحيرة خوارزم، وصحراء قبجاق حتى حدود اليمن، وهناك العديد من التحديات التي واجهته عند توّليه السلطة، وكان لوزيره نظام الملك الفضل الأكبر في القضاء على تلك المصاعب وفي إرساء دعائم دولته وانتصاراتها الحربية[٥٨].

وكان أول التحديات التي واجهته هو خروج عمه قاورد ومخالفته له حيث أعلن أنه أحق بعرش السلطة منه بعد وفاة أخيه الب أرسلان، ثمّ كتب الى السلطان ملكشاه: "أنا الأخ الكبير وأنت الولد الصغير وأنا أولى بميراث أخي السلطان الب أرسلان منك"[٥٩]، فأجابه ملكشاه قائلًا: "الأخ الأكبر لا يرث في وجود الابن"،[٦٠] ثمّ توجه على رأس جيش الى أصفهان ودارت معركة بين الطرفين بظاهر همذان في ٢٦ جمادى الأولى سنة ٤٦٦هـ ودامت المعركة ثلاث أيام وانتهت بهزيمة قاورد الذي انهزم ثمّ وقع في الأسر[٦١]، ولما أسر أخرج مجموعة من الرسائل وقال لملكشاه امراؤك كاتبوني فخاف الأمراء، وأخذ ملكشاه هذه الرسائل وأعطاها لنظام الملك الذي أحرقها، أما الأمراء فسكنت قلوبهم وأخذوا يبذلون طاقتهم في إظهار الطاعة، وكانت هذه من أكثر الأفعال التي ثبتت ملكه،[٦٢] أما قاورد فقد قام نظام الملك بقتله، وأبقى كرمان بيد سليمان شاه بن قاورد وتوارثها أبناءه من بعده الى سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)،[٦٣] وأقام السلطان ملكشاه في هذه السنة في أصفهان وأنفق بها أموالًا كثيرة على الفقراء، وفي عام (٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م)، أسقط من العسكر سبعة الأف رجل لم يرضى عن حالهم فمضوا الى أخيه تكش، وهو ببوشنج فقوي بهم، وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه، واستولى على مرو الروز، ومرو الشاهجان وترمذ وغيرها، وسار الى نيسابور طامعًا في ملك خراسان، وهنا يظهر حسن تدبير نظام الملك وحنكته في تثبيت دعائم السلطة لملكشاه حيث قال لمكشاه عندما أمر بإسقاطهم: "أن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا اسقطوا لا نأمن أن يقيموا بينهم رجلًا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا أضعاف ما لهم من الجاري الى أن نظفر بهم، فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى أخيه واظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم ولكن في النهاية تمّ الصلح بينهما[٦٤]،وكان دور نظام الملك بارزًا وكبيرًا في تثبيت عرش ملكشاه وتقديرًا للخدمات الجليلة التي أداها ملكشاه قال له:" قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك فأنت الوالد، وحلف له وأقطعه إقطاعات من جملتها طوس مدينة نظام الملك ثمّ لقبه بلقب (الاتابك).[٦٥]

وكانت أصفهان لها منزلة خاصة عند نظام الملك، ويؤكد ذلك المافروخي: ".. ومنها أن مولانا الأجل نظام الملك.. منذ سعد العراق تدبيره الصائب ونظره الثاقب يعتقد في أصفهان أحسن الاعتقاد، ويعتمد على أهلها أوفى الاعتماد ويعتد بالقليل من خدمتهم أكثر الاعتداء ويهمها من بين الأمصار في جميع الأبواب أوفر الحظوظ من الاعتناء بها والانصباب.." [٦٦]، وقد قام ملكشاه ووزيره نظام الملك باقة العديد من المشاريع في المدينة كونها العاصمة لدولته، وأحب المدن الى قلبه[٦٧]، وتوسعت المدينة في عهده كثيرًا، وأصبحت من المدن المشهورة في العالم الإسلامي، تدفق إليها العلماء، والتجار من كل صوب وحدب، وازدادت توسعًا وسكانًا حتى صارت محط اهتمام كبير للسكن، ومن الناحية الاقتصادية تدفقت عليها الأموال من الجزية، والخراج ، فضلًا عن ضرائب الأرض الواسعة للسلاجقة التي زادت من ثروة المدينة، وقيل أن شعب العاصمة اغتنى في عهد ملكشاه إذ يشربون في أوان من الذهب[٦٨].

ولم ينكر دور وزيره نظام الملك، إذ قام هو والسلطان، والعمال، والأعيان السلاجقة الأخرين ضمن عملية تشاركية بتشييد الكثير من العمائر الفخمة، والحدائق الغناء فيها ما زالت أثارها خالدة الى اليوم، وأنشأ حدائق ملكية، كحديقة كاران، وتسمى باغ كاران، وزينّت جميعها بأنواع الورد والرياحين، ومن الأثار الباقية من عهد السلطان ملك شاه في أصفهان، قبة نظام الملك وتقع في جنوب المسجد الجامع، وقد كتب عليه اسم السلطان، ووزيره نظام الملك انشات سنة (٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م)، وقد عّد عصره عصر العمارة الإسلامية الإيرانية الخالية من أي مؤثر خارجي، فعدت العمارة السلجوقية عمارة أصيلة امتازت بالقوة والصلابة والجمال.

وقد بقيت أصفهان عاصمة لخلفاء السلطان ملكشاه، وهم: (بركياروق، ومحمد بن ملك شاه، ومحمود بن محمد) ولمدة قرن من الزمان بعد موت ملكشاه، إلا أنها تراجعت كثيرًا بسبب الصراعات المستمرة بين هؤلاء وعدم جدارة أحدهم لم يعنى أي منهم بإنشاء مشروع مهم من أجل توسيع رقعة أصفهان، ويمكن القول أنه بانتهاء عهد ملكشاه، ووزيره نظام الملك انفرط عقد الدولة السلجوقية، وتمزقت وحدتها وقوتها[٦٩]، فقد أصاب السلاجقة بعدهما التفرقة والتفكك وبموتهما اشتعل نار التنافس على العرش، وقطع ما بينهم من رحم [٧٠]،وفي ذلك يقول ابن العبري " وانحلت الدولة ووقع السيف"[٧١]، ولم تعد الدولة السلجوقية تخضع لحاكم واحد بل كان هناك سلطان في أصفهان وآخر في الري وفقد البيت السلجوقي هيبته وسطوته، وأصبحت مدينة أصفهان هدفًا للمتنافسين على العرش من ال سلجوق[٧٢].

كما شهدت أصفهان أحداثًا، واضطرابات كثيرة من النواحي السياسية، والاقتصادية، وذلك نتيجة للسياسة المذهبية المتعصبة، فتسببت بثورات الإسماعيلية الباطنية، وتعّصبهم بقتل الكثير من أهلها، وأهم من قتل على أيديهم الوزير المشهور نظام الملك، ويرى البعض أن ظهور فرق الباطنية الإسماعيلية، وكانوا في البداية يعملون بالسر، وأول عمل إجرامي لهم هو قتلهم لنجار اتهموه بقتل أحد أتباعهم، ثمّ قتلوا الوزير نظام الملك، وكانت أول حادثة مشهورة تنسب لهم، وافدو بعدها الى أصفهان وعلى أثر الحروب بين بركياروق وأخوته تجمع أتباع فرقة الإسماعيلية فيها، واتخذوا قلعة شاه دذ مقرًا لهم، ويبد وأهم قد استغلوا حالة الصراع بين السلاجقة ليسيطروا على أصفهان.

ثالثًا: دعم السلطان ملكشاه للحركة العلمية بأصفهان

لقد أدرك السلطان ملكشاه كغيره من السلاجقة أنّ العلم هو سياج الدولة وعمادها، فعمل على تشجيع العلوم، وبنى المدارس، والخوانق، والربط وغيرها من المراكز العلمية، وأكرم العلماء وأحسن وفادتهم وجزل لهم العطاء، كما أدرك أن خير من يضمن بقاء دولته ورقيها هم العلماء ورجال الدين، لذا فقد حرص على تزين مجالسه بالعلماء، والأدباء، والشعراء، وازدهرت الحركة العلمية بأصفهان في عهده أكثر من أي وقت مضى نتيجة عوامل عديدة لعّل في مُقدمتها دعمه للعلم، والعلماء، وبذله الأموال إيمانًا منه بدورهم الرائد في خدمة المجتمع، ورقي دولته، وإدراكًا منه أيضًا أنه يمكن من خلال العلماء من تعزيز وتقوية حكمه لما لهؤلاء العلماء من مكانة، واحترام لدى العامة، ومن ثمّ سعى كغيره من السلاطين الى التقرب الى العلماء لأن في احترامهم والتقرب منهم استرضاءً للناس كافة والى ما في ذلك خدمة للدين، وأهله من ثواب عند الله، ونتيجة للرعاية المتّميزة من قبل السلطان ملكشاه، ووزيره نظام الملك أصبحت أصفهان من المراكز العلمية المشهورة التي شّد إليها العلماء الرحال، وشهدت المدينة في عهده نهضة علمية، لا سيما بعد أن اتخذ منها ملكشاه عاصمة لدولته.

كما كان لاستقرار الأمن في المدينة منذ أيام السلطان طغرلبك أثر في تطور الحركة العلمية فيما بعد[٧٣]، فقد تمكن طغرلبك من بناء دولة قوية، راسخة الأركان متينة البنيان،

وكان طغرلبك محافظًا على الصلوات، شديد الحب للعلماء يحترمهم، ويجلهم، وكان حليمًا ومتسامحًا معهم[٧٤]، كما كان كثير البر والصدقات، حريصًا على بناء المساجد، وكان يقول: "إني استحي من الله تعالى أن أبني دارًا ولا أبني مسجدًا "[٧٥]، قام ببناء العديد من المساجد في أصفهان، وأنفق عليها ما يقارب خمسمائة الف دينار حسب رواية المافروخي.[٧٦]

وخلف طغرلبك ابنه السلطان الب أرسلان الذي سار على نهج والده، فقد كان كريمًا، وعادلًا، رحيم القلب وكان العلماء في عهده يتمتعون بمنزلة رفيعة[٧٧]، وكان يذهب الى العلماء للتبرك بهم[٧٨]، واستطاع الب أرسلان أن يقضي على الثورات الداخلية في دولته، ويؤمن حدود دولته الخارجية، كما قام باتباع سياسة اقتصادية حكيمة في أصفهان مما نتج عنه استقرار سياسي وأمني، كان له أثره على الحركة العلمية، فقد تمتّعت أصفهان في عهده بالحرية الدينية فكان لا يوجد اضطهاد لمذاهب بعينها، وبنيت في عهده العديد من المساجد، والربط، والمدارس.[٧٩]

وبعد موت الب أرسلان سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) تولّى السلطة من بعده ابنه الأكبر ملكشاه الذي استطاع القضاء على التحديات والثورات التي واجهته في البداية بسبب النزاع على السلطنة، ومنها قضاءه على ثورة عمه قاورد سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) وتمكن من قتله[٨٠]، ودخل أيضًا في مصاهرة مع الدولة الغزنوية حيث زوج ابنته " كوهر ملك" من السلطان مسعود بن إبراهيم صاحب غزنة[٨١]، وبذلك أمنّ حدود دولته من ناحية الدولة الغزنوية، واستطاع ملكشاه وبقدرة فائقة أن يحافظ على استقرار دولته، ويقضي على ثورة عمه تكش في (٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م) وتمّ الصلح بينهما[٨٢] واتخذ ملكشاه من أصفهان عاصمة لملكه[٨٣]، وقد اتبع سياسة حكيمة في إدارة دولته المترامية الأطراف أدت تلك السياسة الى النهوض علميًا في أصفهان خاصة والدولة السلجوقية عامة، وقام السلطان ملكشاه ببناء الكثير من العمائر الفخمة، والحدائق الغناء بأصفهان وأجرى فيها قنوات المياه[٨٤]، واليه يعزى تجديد الجامع العتيق، أو الكبير بأصفهان[٨٥]، وكان من المساجد الكبيرة والمشهورة بأصفهان[٨٦]، أشاد به المقدسي بالقول: "لم أرى جامعًا أعمر بالجماعة بعد جامع مصر من جامعها"[٨٧]، ويمكن القول أنه كان في مُقدمة المراكز العلمية بالمدينة في عهده، وكان مُكتظًا بالمصلين، وطلبة العلم، وكان عدد الحضور فيه يزيد على خمسة آلاف رجل، وكانت تقام فيه حلقات العلم[٨٨].

وكان ملكشاه كما وصفه ابن خلكان من أحسن الملوك سيرة، حتى كان يُلّقب بالسلطان العادل، وكان يجلس للمظالم بنفسه، ويقضي بين الناس بالعدل، وكان بابه مفتوحًا لكل قاصد بحيث يستطيع أي شخص من أفراد رعيته أن يدخل عليه بسهولة ويسر لرفع ظلامته أو التعبير عما لحقه من اضطهاد ، وكانت السبل في أيامه سالكة، والمخاوف أمنة تسير القوافل من ما وراء النهر الى أقصى الشام وليس معها خفير ويسافر الواحد والاثنين من غير خوف ولا رهب[٨٩]،وكل ذلك أدى الى ازدهار الحركة العلمية، وقد قام ملكشاه سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م) بإنشاء مرصد فلكي في أصفهان اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأنفق عليه أموالًا كثيرة وبقي يعمل حتى وفاته[٩٠].

كما قام ملكشاه بالإعلان عن مسابقة لتأليف كتاب عن سير الملوك الأقدمين يتضمن اقتراحات المؤلفين لإصلاح نظام الحكم، فتقدم عدد من الكتاب فقدّموا ما جال بخاطرهم، ثمّ تمّ اختيار كتاب وزيره نظام الملك (سياسة نامة) الذي ألفّه ليكون دستوراً يتبع في إدارة الحكم والدولة وأعجب به السلطان ملكشاه وأعلن أنه سيتخذه دليلًا يسير على هداه.

وكان ملكشاه يختار رجال دولته ووزرائه من العلماء، ومن أمثلة هؤلاء الوزير مستوفي المملكة أبو سعد شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمي الذي قام ببناء مدرستين للحنفية، وإسماعيل الطغرائي الكاتب الأصفهاني.[٩١]

وكان ملكشاه يستمع الى الوعاظ ويحضر مجالسهم، وكانت مجالس السلطان عامرة بالعلماء، وكان لعلو مكانة العلماء عنده أنه كان يلبي طلباتهم فعلى سبيل المثال جاء الفقيه الشافعي أبو طاهر بن علك مفتي سمرقند شاكيًا من أحمد خان حاكم سمرقند، وكّلمه فما كان من ملكشاه إلا أن ذهب الى سمرقند، وسيطر عليها ورتب فيها من ينشر العدل[٩٢]، ومما يدل على مكانة العلماء عنده أيضًا أنه كان يرسلهم كسفراء ورسل في قضاء حوائج دولته[٩٣]، ونظرًا لارتفاع مكانة العلماء عند ملكشاه، واحترامه لهم كان الخليفة العباسي يرُسل إليه العلماء لقضاء حوائجه، ففي سنة (٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م) أرسل أمير المؤمنين المقتدي (٤٦٧-٤٨٧هـ/ ١٠٧٤-١٠٨٤م) بأمر الله أبا اسحق الشيرازي الى السلطان ملكشاه في أصفهان ليشكو عميد العراق إليه ولما حضر أبا إسحاق الشيرازي عند السلطان أجاب جميع مطالبه ورفعت يد العميد عن كل ما يتعلق بالخليفة[٩٤].

وكان ملكشاه كريمًا مع العلماء فعندما سافر أبو نصر الصباغ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالواحد الفقيه الشافعي في العراق، وكان قد ولي النظامية ببغداد أكرمه ملكشاه وأحسن إليه وفعل معه كل جميل[٩٥]، وكان ملكشاه من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالملك العادل[٩٦]، فكان يقف للمسكين، والضعيف، والمرأة فيقضي حوائجهم، وقام بالكثير من أعمال البر والخير التي أدت الى استقرار دولته، حيث عمّر العمارات، وبنى القناطر، وأسقط المكوس والضرائب، وحفر الأنهار،[٩٧] كما قام ببناء الرباطات وهو الذي بنى جامع السلطان ببغداد، وبنى مدرسة لأصحاب أبي حنيفة في أصفهان[٩٨].

وصفوة القول لقد ازدهرت الحياة العلمية بأصفهان في عهد السلطان ملكشاه بسبب الاستقرار الأمني، والاجتماعي والازدهار الاقتصادي الذي نعمت به المدينة في عهده، وبنائه للعديد من المراكز العلمية والمساجد، والمدارس منها مدرسة للحنفية بأصفهان، وبسبب عدله، وحسن معاملته لرعيته وخاصة أهل العلم.

كما كان للوزراء السلاجقة دورهم الفاعل في دعم الحركة العلمية وقام الكثير منهم ببناء المساجد، والمدارس، والربط والمكتبات، وتأليف الكتب، وقاموا بتشجيع العلماء ودعمهم وكان العصر السلجوقي من العصور التي راجت فيها سوق العلم وانصهرت في بوتقته جميع التيارات والثقافات الإسلامية بفضل دعم السلاطين ووزرائهم للحركة العلمية، وامتلك الكثير من الوزراء ثقافة عالية مثل وزير السلطان طغرلبك عميد الملك منصور بن نصر الكندري الذي امتلك ناصية العلم، وكان يجيد التحدث بثلاث لغات التركية، والفارسية، والعربية.[٩٩]

كما كان للوزير نظام الملك أبو علي حسن بن علي بن اسحق الطوسي وزير آب أرسلان، وملكشاه دور كبير في ازدهار الحركة العلمية بأصفهان، وفي ذلك يقول السبكي: "ونعش من العلم وأهله ما كان خاملًا مهملًا في أيام من قبله"[١٠٠]، وكان راس الدولة المفكر وكان له علم ومعرفة كبيرة في علوم شتى منها علوم الدين كالفقه، والحديث، والعلوم الأخرى كالعلوم الرياضية، والحساب، والمنطق، واللغة، والنحو، والتاريخ، وكان يجيد اللغتين العربية، والفارسية وله مصنّفات عديدة من أهمها سياسة نامة حيث أنه في عام (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) بناءً على طلب السلطان ملكشاه الذي طلب من رجال بلاطه بأن يضع كل واحد منهم كتابًا في نظام الحكم وبأن يقترحوا خير الوسائل لنظام الحكم مُسترشدين في ذلك بما حفظ التاريخ من أخبار الملوك السابقين، فكتب كل واحد منهم كتابه ورفعوا كتبهم جميعًا الى السلطان فأعجبه ما كتبه نظام الملك فأعلن أنه سوف يتخذ ما كتبه نظام الملك إمامًا يسير على هداه[١٠١]، كما ترك نظام الملك عددًا من الرسائل حفظتها لنا كتب التراجم والتاريخ، ولشدة اهتمام نظام الملك بالعلم والعلماء أدرج في ثنايا كتابه سياسة نامة فصلًا تحدث فيه عن العلم والاهتمام بالعلماء[١٠٢].

وكان نظام الملك الطوسي من اعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق وواحد من أعظم الوزراء في تاريخ المشرق الإسلامي جمع في يده كل مهام ممالك الدولة السلجوقية، وتميّز بحكمته، وحلمه، كثير الصفح على المذنبين[١٠٣]، كما كان عادلًا ما جلس قط إلا على وضوء ولا توضأ إلا تنفل ويقرأ القرآن، ولا يتلوه مستندًا عظامًا له، ويستصحب المصحف معه أينما توجه واذا أذن المؤذن أمسك عن كل شغل هو فيه، ويصوم الاثنين والخميس[١٠٤]،وكان شديد الحب للفقراء والمساكين، ويشاركهم في طعامه[١٠٥].

ويرجع الفضل الكبر الى نظام الملك في تثبيت آلب أرسلان في السلطة واستقرار الأوضاع في دولته، كما كان هو المتصرف في مملكة ملكشاه، والحاكم الفعلي للبلاد، وكان له الكثير من الإنجازات والأعمال التي أدت الى استقرار الأوضاع السياسية، والأمنية وازدهار الحركة العلمية منها على سبيل المثال لا الحصر نظام الإقطاع الذي سّنه حيث خفف من الأعباء المالية على الدولة، وكان سببًا في عمارة البلاد وكثرة الغلات[١٠٦]، ويعزو إليه توسطه عند السلطان الب أرسلان لكي يسقط الضرائب في أصفهان، واصدر الب أرسلان بناءً على نصيحته مرسومًا سلطانيًا علق على أبواب المساجد حتى بلغت أصفهان درجة كبيرة من الاستقرار الاقتصادي تحسدها عليه المدن الآخرين وربما عصمة الخلافة بغداد نفسها[١٠٧]، وترتب على ذلك ازدهار الحياة العلمية، وكان ملكشاه يسمع مشورته، وتعد الفترة التي كان فيها نظام الملك وزيرًا من الفترات الزاهية التي ازدهرت فيها الحركة العلمية في أصفهان بفضل جهود هذا الوزير الذي أخذ بتقريب العلماء والإغداق عليهم، كما يرجع إليه الفضل في بناء المدارس، والربط، والمساجد لاعتقاده الراسخ بأن العلم قوام الدين، وأن الدين قوام الدولة وعمادها[١٠٨].

وكان نظام الملك شديد الأدب مع العلماء يحترمهم ويجّلهم[١٠٩]، وكان ينفق بسخاء ،وقد حظي أهل العلم بأصفهان، وعلمائها بعناية كبيرة من نظام الملك وبإنفاقه عليهم وفي ذلك يقول المافروخي: "..ولم يبق بها صاحب فضل ولا طالب علم ولا راوي حديث ولا ناظم بيت ولا كاتب كلمة ومورد نكتة ولا متقن

مسألة ولا حامل محبرة إلا أدر عليه مرسومًا، وأقام له رزقًا معلومًا أو أقطعه حصة أو رد عليه بالملكية مزرعة فيعيشون منه .."[110]، وكان شديد الإكرام للعلماء، فعندما ذهب إليه الإمام الغزالي في أصفهان أكرمه وعظّمه وبالغ في الإقبال عليه.[111]

واعترافًا من العلماء بجميل نظام الملك فقد ألّف العديد منهم الكتب باسمه فمن الكتب التي الفّت باسمه ثلاث رسائل هي: "الغياثي، والنظامي، والعقيدة النظامية" صّنفها له الإمام الجويني فقوبلت من النظام بترحيب، وتشجيع كما قوبلت بالخلع والهدايا[112]، كما أهدى إليه غريب بن محمد بن يوسف القزويني (ت: ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) وهو أحد شيوخ المعتزلة ببغداد أربعة أشياء لم يكن لأحد مثلها فقد اهدي إليه (غريب الحديث) و(شعر الكميت بن زيد) في ثلاثة عشر مجلدًا ، ومنها (عهد القاضي عبد الجبار)[113]، وكانت مجالسه معمورة بالعلماء مأهولة بالأئمة، والزهاد لم يتفق لغيره ما اتفق له من ارتحال العلماء عليه في داره، وقد دأب أن يجعل من داره ندوة كل يوم الاثنين من الأسبوع يرتادها العلماء، والأدباء دون قيد أو شرط في مذهب فكان من بينهم الحنبلي، والشافعي، والمالكي، والحنفي، والمعتزلي والأشعري[114]، وكان مجلسه يضم كل المذاهب وليس أدل على ذلك ما قاله أبو يوسف القاضي عندما دخل عليه فقال له:" أيها الصدر قد اجتمع عندك رؤوس أهل النار فقال النظام كيف؟ فقال القزويني: "أنا معتزلي وهذا مشبه، وذاك اشعري وبعضنا يكفر بعضًا"[115].

وعلى الرغم من اهتمام نظام الملك بالعلوم الدينية إلا أنه لم يغفل النواحي الأدبية بل أنه نفسه ساهم في النهضة الأدبية وكان يميل الى الشعر، ويقرب الشعراء منه ويغدق عليهم الأموال ومدحه الكثير من الشعراء منهم الباخرزي الذي كان يحضر مجالسه وظل ملازمًا له[116].

ويرجع الفضل الى نظام الملك في بناء العديد من المنشآت العلمية في الكثير من المدن ومن ضمنها أصفهان التي كانت حاضرة دولته، فقد أقام العديد من المدارس التي أطلق عليها النظاميات نسبة له[117]، فقد قال السبكي:" وبنى مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصفهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو ،ومدرسة بامل طبرستان ،ومدرسة بالموصل".[118]

وبالنسبة الى مدرسة أصفهان التي بناها نظام الملك فقد أخذت تنافس نظامية نيسابور وبغداد بأساتذتها وتلاميذها وفي وصف نظامية أصفهان قال المافروخي: "وأمر بابتناء مدرسة تجاوره جامعها للفقهاء الشفعوية فابتنيت كأحسن ما رؤي هياة وهيكلًا وصنعة، وعمل منزلًا على طرفها منارة عجيبة الوضع رائقة الأصل والفرع يصعد ثلاثة أنفس الى أعلاها في ثلاث درجات فلا يرى أحد صاحبه الى أن يعلوها وقدرها انصرف في نفقاتها والموقوف عليها من الضياع والمستغلات الموسوم ابتياعها للوقوف عليها عشرة الأف دينار"[119]، وقد بلغت نظامية أصفهان شانًا عظيمًا بعيدًا في السمعة وحسن الصيت، فأخذ طلاب العلم يشدون إليها الرحال من كافة أرجاء العالم الإسلامي، ومن الأعمال العظيمة التي كان لها أبلغ الأثر في ازدهار الحركة العلمية وتشجيع الناس على طلب العلم المعاليم والأموال التي قررها لطلاب العلم، ويقول السبكي :...وغلب على ظني أن نظام الملك أول من قدّر المعاليم للطلبة .."[120]، وبذلك يعتبر العصر السلجوقي عصر انطلاقة الحركة المدرسية في الإسلام خاصة بعد توّلي نظام الملك الوزارة، وكان لنظام الملك مكتبة خاصة غاية في القيمة وكان يصرف مكافأة لمن يسافر إليها من الطلاب، وكان قد جمعها عن طريق الإهداء والشراء.[121]

ومن المنشأت الأخرى التي أقامها نظام الملك المساجد، والربط، والبيمارستانات[122]،كما اهتم بعلم التنجيم والفلك، واتخذ منهم الندماء ولا تكاد تخلو حاشيته من واحد منهم وكان له منجمه الخاص الذي لا يفارقه وقد حرص على غرس حب العلم والعلماء واحترامهم في نفوس أبنائه فأوصاهم بتقريب العلماء وإكرامهم[123]، مما سبق يتضح دور نظام الملك الكبير في ازدهار الحركة العلمية في أصفهان خاصة من حيث اهتمامه بالعلماء والإنفاق عليهم، واحترامهم، وإنشائه المراكز العلمية من مساجد، ومدارس، وأربطة، وخوانق، وبيمارستانات، وتوفير ما يحتاجونه وإنشاء المكتبات ومن أبرزها مكتبته التي بناها في أصفهان، وكذلك الحرية التي تمتع بها العلماء في عهده وسياسة التسامح المذهبي التي كان يتبعها.

اتسمت مدينة أصفهان بتعدد الأديان والطوائف، والفرق الدينية، وقد شهدت المدينة العديد من الصراعات الداخلية بين هذه الفرق، وهذا الخلاف المذهبي كانت له أثار سلبية وإيجابية فمن أثاره السلبية إهانة العلماء، وحبسهم، ونفيهم من بلادهم وأحيانًا تصفيتهم وقتلهم. أما الأثار الإيجابية فتمثلت في ازدهار الحياة العلمية في أصفهان حيث أن علماء كل فرقة كانوا يبذلون قصارى جهدهم لنشر مبادئ مذهبهم وإثبات صحته وتفوقهم على المذاهب الأخرى، وادى ذلك الى انعاش الحركة العلمية وهذا ما سّنركز عليه فقد ساعد وجود الفرق الدينية المختلفة على تنشيط الفكر العلمي لأن هذه الفرق اتخذت من العلم

وسيلة لترويج تعاليمها، ومحاولة الإقناع بصحة تعاليمها، وكان الجدل الذي ثار بين علماء هذه الفرق من وسائل ترويج الثقافة، وأوضح دليل على صحة ذلك الأثار العلمية الوفيرة التي خّلفها علماء الفرق الدينية المختلفة برغم ما أحدثته هذه الفرق من انقسام بين المسلمين، وإضعاف لقوتهم، كما أن الكبراء المنتمين الى المذاهب الأربعة لأهل السلف كان لهم دور كبير في تنشيط الحركة العلمية في ذلك العصر تمثل في إنشاء المدارس الشافعية، والحنفية، والحنبلية، والزوايا والأربطة فكان لكل مذهب مدارسه الخاصة[١٢٤]، وكان هناك صراع بين الباطنية من ناحية واهل السنة من ناحية أخرى، وأدى ذلك الصراع الى تنشيط الحركة العلمية في أصفهان حيث كان رجال الأمة الحريصين على مصالح الإسلام جادين في العمل على دعم النشاط العلمي وإشاعة العلوم الشرعية، واستخدام المنطق والجدل للدفاع عن عقيدة أهل السلف، وأدى ذلك الى انتشار المصّنفات المختلفة للدفاع عن العقيدة وشرح أصولها، وإبراز وجهة النظر الفقهية المذهبية، وإخراج تراجم لرجاله، والكتابة عن مناقب شيوخ المذاهب[١٢٥]ويذكر أن السلاجقة كانوا على المذهب الحنفي، بينما وزرائهم كانوا ما بين الحنفي، والشافعي[١٢٦].

وقد حرص السلاجقة على تأكيد تمسكهم بمذهب أهل السنة، وحرصهم على جهاد أهل المذاهب والملل المنحرفة، ولولا غلبة السلاجقة على إيران لزالت الخلافة العباسية السنية [١٢٧]، وفي ذلك قال ابن كثير: "وجاء بعد بني يويه قوم آخرون من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة، ويوالونهم ويرفعون قدرهم.." [١٢٨] .

ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة الصراع الديني، والمذهبي لم يكن صراعًا دينيًا بل كان صراعًا سياسيًا هدفه التوسع والهيمنة على مناطق الخلافة العباسية، وعلى الخليفة العباسي، وبما أن السلاجقة كانوا سنة فقد روجوا للمذهب السني واتخذوا وزراء يشجعون على المذهب السني كالوزير الكندري الذي كان حنفيا، وكان شديد التعصب على الشافعية، ونظام الملك الذي كان يعد شخصية كبيرة شافعي المذهب مصوف حفظ القرآن ، وأسس المدارس النظامية لتكون أشبه بالجامعات اليوم، وأسس المكتبات ووقف العلماء بوجه الحركات الباطنية من الشيعة ، وقد مهدت المدارس النظامية السبيل فيما بعد أمام نورالدين، وصلاح الدين، والأيوبيين والمماليك لكي يكملوا المسيرة التي من أجلها أنشئت النظاميات، وتتمثل في العمل على سيادة المذهب السني على الرغم من أن الصراع لم يكن مذهبيًا بحتا بل سياسيًا خاصة في المناطق التي كانت موطنًا لنفوذ الشيعة كالشام، ومصر، وغيرها.[١٢٩]

وتُعَدّ الفترة السلجوقية من أهم الفترات التي اشتدت فيها الخلافات الدينية، والعقائدية وراجت فيها العلوم الدينية، فقد كان عميد الملك الكندري شديد التعصب على الشافعية وبلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فأمر بلعنهم وأضاف اليهم الأشعرية وقد رفعت الى السلطان مقالات للأشعرية في العقيدة فما ارتضاها؟ فأمر بلعنهم فضج من ذلك أبي القاسم القشيري والأمام أبي المعالي الجويني، وغيرهما وعمل أبو القاسم القشيري رسالة سماها: "شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة" وقد حاول الإمام القشيري مع طغرلبك في أن يترك ما أمر به فما قبل[١٣٠]، وما أن تولى نظام الملك الوزارة لألب أرسلان أبطل ما كان عليه الوزير الكندري من لعن الأشعرية، وأعاد الفارين الى أوطانهم، مثل أبو المعالي الجويني الذي ذهب الى مكة المكرمة في تلك الفتنة وأخذ يدرس بها أربعة سنوات ولذلك لقب بإمام الحرمين[١٣١].

ومع أن نظام الملك كان شافعيًا ويميل الى العلماء الشافعية إلا أنه كان يتبع سياسة التسامح الديني مع المذاهب الأخرى، وليس ادل على ذلك ما أورده ابن الجوزي عندما دخل على نظام الملك أبو يوسف القزويني كان عند النظام أبو محمد التميمي، ورجل أخر اشعري فقل للنظام:" أيها الصدر قد اجتمع عندك رؤوس أهل النار فقال كيف؟ فقال: أنا معتزلي، وهذا مشبه وذاك اشعري، وبعضنا يكّفر بعضًا" ولم ينل أحد من أصحاب المذاهب الأخرى أذى في عهده وحتى أوقات الفتن التي كانت تنشأ بين المذاهب حيث كان يتعامل معها بحكمة وحسن تصرف تنم على مدى ما كان يتمتع به من عقلية وأيضًا ما يتمتع به من سماحة لكافة المذاهب السنية وليس ادل على ذلك ما حدث في سنة ٤٦٩هـ، من فتنة بين الأشعرية والحنابلة والتي كانت بسبب أبو نصر القشيري فمال أبو إسحاق الشيرازي الى ابن القشيري وأرسل كتابًا الى نظام الملك يشكوا إليه الحنابلة، ويساله المعونة عليهم، فرد عليه نظام الملك برسالة تحمل في طياتها السماحة الدينية، وعدم اضطهاده لأي مذهب من مذاهب السنة، وتدل على حسن تصرفه حيث قال في كتابه الذي أرسله الى أبي إسحاق ردًا على رسالته :" ورد كتابك بشرح اطلت فيه الخطاب وليس توجب سياسة السلطان إلى أن نميل في المذاهب الى جهة دون جهة

ونحن بتأييد السنة أولى من تشييد الفتن .." [١٣٢]، ويتضح أن السماحة الدينية كان التي اتبعها نظام الملك كان لها تأثير كبير على ازدهار الحركة العلمية بأصفهان حيث إن حرية الراي تسهم في نمو العلم ولا ينمو العلم إلا في إطار الحرية.

وهناك الكثير من الدلائل التاريخية التي تدل على أن الصراع المذهبي كان له دور في تنشيط الحركة الفكرية ولعّل السبب وراء بناء ملكشاه مدرسة للحنفية في أصفهان هو غيرته على المذهب الحنفي عندما قام نظام الملك بتشييد العديد من المدارس للشافعية[١٣٣]، وقد نتج عن الصراع الذي دار بين الباطنية وأهل السنة في أصفهان أن ازهرت الحركة العلمية حيث أن الباطنية اعتمدوا على أسلوب الإقناع والحجة والحوار في كسب اتباعهم فاراد نظام الملك مقاومة الباطنية بنفس السلاح حيث أراد توجيه الناس وجهة دينية سنية صحيحة، ومناقشة العوام بمسائل الخلاف فالحجة لا تقرع إلا بالحجة، والعقل لا يقبل مناظرًا إلا العقل، ولأن الفكرة الفاسدة لا يحميها السيف، بل ربمّا ينميها، وأن التشريد والنفي تجعل من الميل للفكرة تصديقًا لها وإيمانًا بنفعها وصحتها ولان الجيش، والحرب، والسياسة المجحفة وحدها لا تجدي نفعًا[١٣٤]لذلك قام نظام الملك ببناء العديد من المدارس في المدن والحواضر ومن بينها أصفهان.[١٣٥]

كما عمل نظام الملك على تقريب الصوفية الذين كانوا بعيدين عن التعصب وكانت أصفهان مليئة بالصوفية فعمل نظام الملك على تقريبهم ورعايتهم، ومن الأشياء التي أدت الى ازدهار الحركة العلمية هي مجالس المناظرة التي كانت تعقد في الدور والقصور والمساجد وخاصة المجالس التي كانت تعقد في دار نظام الملك حيث أدت تلك المناظرات والمجالس العلمية الى انتعاش الحركة العلمية لأن العلماء كانوا يحرصون في مجلس المناظرة على بحث الموضوع المعروض للمناقشة بحثًا عميقًا حتى يظهر العالم أمام كبار رجال الدولة بمظهر لائق يكسبه مكانة مرموقة بين الناس، وأدت الخلافات في الرأي إلى إثراء الحركة الفكرية وازدهارها، وشجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس وإعداد أنفسهم إعدادًا جيدًا في تلك المجالس.

وكانت المناظرات تتم في علوم شتى مثل الفقه والأدب والشعر وغيرها من العلوم، وكانت مجالس المناظرة تظهر الحقائق للناس والراي العام وتدحض الباطل[١٣٦]. ومن مجالس المناظرة التي عقدت في أصفهان عند نظام الملك مناظرة حدثت بين علي بن أبي يعلى بن زيد الدبوسي (ت: ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) وأبي المعالي الجويني وكان قبل تلك المناظرة حدثت مناظرة أخرى بينهما في نيسابور فتعرض الدبوسي للأذى من أصحاب أبي المعالي فاحتمل الدبوسي وما قابلهم من شيء وخرج الى أصفهان فاتفق خروج أبي المعالي إليها في أثره في مهم يعرضه الى نظام الملك وكانت تلك المناظرة في حضرة نظام الملك فظهر كلام الدبوسي على إمام الحرمين فقال لإمام الحرمين "أين كلابك الضاربة"[١٣٧]، ومن المناظرات التي تمت في أصفهان أيضًا المناظرة التي كانت بين أبي اسحاق الشيرازي وإمام الحرمين أبي المعالي الجويني وكانت بحضور نظام الملك سنة (٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)[١٣٨].

وما يدل أيضًا على أن مجالس المناظرة تؤدي إلى إنعاش الحركة الفكرية وازدهارها ما أورده السبكي: ".. فان ما يقع في المغالطات، والمغالبات في مجالس النظر يحصل به تعليم إقامة الحجة ونشر العلم، وبعث الهمم على طلبه وما يعظم في نظر أهل الحق.." [١٣٩]، وكان من يتفوق في تلك المجالس، وتظهر سعة علمه يوّلى المناصب الرفيعة في الدولة مثل التدريس في المدرسة النظامية، مثلما حدث مع الإمام الغزالي عندما ذهب الى نظام الملك في أصفهان، وحضر مجلسه وكان محاطًا بالعلماء ورجال الدين وبعد خوضه معهم ومناظرته لهم تبيّن لنظام الملك علو شانه فأقبل عليه ولاه التدريس بنظامية بغداد سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)[١٤٠].

ومن الدوافع الأخرى التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية آنذاك الرحلة في طلب العلم، فقد كانت الحدود مفتوحة بين المدن والحواضر الإسلامية، وكان الطلاب يرحلون في حماسة بالغة متحملين مشاق الطريق من أجل كسب المعرفة ولقاء الشيوخ.

رابعًا: مظاهر الحركة العلمية في أصفهان في عهد السلطان ملكشاه

حظيت العلوم الدينية في أصفهان باهتمام خاص من قبل السلطان ملكشاه، ووزيره نظام الملك بسبب الصراع الفكري، والمذهبي الذي كان مُحتدمًا بين الشيعة الباطنية من ناحية، والمذاهب السنية من ناحية أخرى، ونتيجة لذلك الدعم ظهر في أصفهان كبار المحدّثين، والمفسرين، والفقهاء، والوعاظ، والصوفية ممن ورد ذكرهم في كتب التراجم، والطبقات، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: المقرىء الحسن بن أحمد الحداد الأصفهاني(ت: ٥١٥هـ/ ١١٢١م)، شيخ أصفهان في القراءات، واليه انتهى الاقراء[١٤١]، والشيخ أبو القاسم المفضل بن محمد الأصفهاني، الذي عُدّ من كبار مُفسري أصفهان في القرن ٥هـ/١١م، من مُصنّفاته في التفسير:(مفردات القرآن الكريم)،

و(جامع التفاسير)، وكتاب (حل متشابه القرآن الكريم) [١٤٢]، كما برز فيها عدد لا يحصى من المحدّثين، وكانت أصفهان من المدن المشهورة التي شدّ إليها العلماء الرحال من أجل السماع، وكان بها :" من الحفاظ خلق لا يحصون..." [١٤٣]، ومن أشهر المحدّثين في عهد ملكشاه نذكر: الإمام الحافظ الثقة أبو نعيم عبدالله بن الحسن الأصفهاني (ت: ٥١٧هـ/ ١١٢٤م) [١٤٤]، والمحدّث محمد بن أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني (ت: ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م)[١٤٥]،والمحدّث أبو مطيع محمد بن عبدالواحد المديني الصحاف الناسخ (ت:٤٩٧هـ/ ١١٠٤م)، وإليه انتهى علو الإسناد بأصفهان[١٤٦]، والحافظ محمد بن عبدالواحد الأصفهاني الدقاق (ت: ٥١٦هـ/ ١١٢٣م)، وكان من المهتمين بطلب الحديث والرحلة في تحصيله، كتب ما يزيد عن الف شيخ من أصفهان [١٤٧]، والمحدث الحافظ يحيى بن عبدالوهاب بن محمد الأصفهاني (ت: ٥١٢هـ/ ١١١٨م)، وكان مُحدّثًا جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظًا مُكثرًا صدوقًا كثير التصانيف سمع الكثير بأصفهان، وغيرها من المدن [١٤٨] والمحدّث محمود بن الفضل بن محمود أبو نصر الأصفهاني سمع الكثير، وكتب وكان حافظًا ضابطًا ثقة مفيدًا لطلاب العلم توفي سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م)[١٤٩]، كما كان يوجد بأصفهان عدد من المحدّثات مثل: آمنة بنت عباد بن علي بن حمزة بن طباطبا العلوية من مُحدّثات أصفهان في القرن الخامس، والسادس الهجري بأصفهان[١٥٠].

وفي مجال الفقه برز في أصفهان فقهاء كبار لا سيما من المذهبين الشافعي، والحنفي، نذكر منهم: الفقيه محمد بن ثابت بن الحسن الخجندي الشافعي (ت: ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) مدرس نظامية أصفهان، وشيخ الشافعية بها، انتشر علمه في الأفاق، وتخرّج عليه كثير من طلبة العلم[١٥١]، والفقيه الحنفي صاعد بن محمد بن عبدالرحمن البخاري الأصفهاني، تولّى الإفتاء، وكان مُقدمًا على أقرانه فضلًا، وعلمًا، وديانة، وزهدًا، وتواضعًا، تفقّه على مذهب أبي حنيفة، ونبغ فيه حتى صار مفتي أصفهان، وكانت نهايته أن اغتيل على يد الباطنية في الجامع الكبير بأصفهان يوم عيد الفطر سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)[١٥٢]، كما عاش بأصفهان في عهد ملكشاه عدد من الفقهاء الحنابلة نذكر منهم: الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن اسحق الأصفهاني الحنبلي(ت: ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)،وكان قدوة أهل السنة بأصفهان، وشيخهم في وقته كان مُجتهدًا وما كان في بلده مثله في علمه، واجتهاده، وورعه، وزهده[١٥٣]، ومن شيوخ الحنابلة أيضًا: الفقيه إسماعيل بن محمد بن الحسن بن داود الأصفهاني الخياط (ت: ٥٠٨هـ/ ١١١٤م) [١٥٤].

وعلى الرغم من أنّ العلوم الدينية قد شغلت حيزًا كبيرًا من الاهتمام في أصفهان في عهد ملكشاه، إلا أن ذلك العصر لم يخلو من الاهتمام ببقية العلوم، كالعلوم اللغوية، والأدب، والشعر، وظهر في أصفهان عدد كبير من الأدباء والنحاة نذكر منهم : علي بن الحسين الضرير النحوي الأصفهاني كان بارعًا في النحو، له كثير من المصّنفات منها: (شرح اللمع)، وله كتاب (كشف المشكلات)، و(إيضاحات المعضلات في علل القرآن الكريم)، وغير ذلك[١٥٥]، ومحمد بن الفضل بن يحيى العنبري الأصفهاني النحوي (ت: ٤٨٢هـ/١٠٨٩م) [١٥٦]، ومحمد بن الحسن بن الحسين الوثابي الأديب اللغوي النحوي (ت:٥١١هـ/١١١٨م) كان أحد الفضلاء في النحو، تخرج عليه فضلاء أصفهان[١٥٧].

وعرف عن الوزير السلجوقي نظام الملك أنه كان بارعًا في علوم اللغة، والإنشاء حتى قيل عنه:" أنه لم يكن في زمانه أكفأ منه في صناعة الحساب، وصناعة الإنشاء" ومما يدل على تضلعه في اللغة العربية أنه قابل رجلًا أثناء سفره في زي العلماء وقد بدأ عليه التعب والإرهاق فسأله نظام الملك " أيها الشيخ اعييت ام اعييت؟" فأجابه بل أعييت ففهم نظام الملك قدره لأنه فرّق بين العي في اللسان والإعياء وهو التعب في الجسم فأمر له بزاد وراحلة"[١٥٨].

وكان أكثر المشتغلين في جمع اللغة هم من العجم لحاجتهم الى ذلك أكثر من العرب ، وكان في أصفهان خلال عصر ملكشاه الكثير من علماء اللغة، وكان لبعضهم مصّنفات قيّمة في ذلك مما أدى الى تطور وازدهار علم اللغة في أصفهان أكثر من غيرها من المدن، ومن أشهر علماء اللغة نذكر على سبيل المثال: أبو عبدالله الحسين بن عبدالملك بن محمد الأصفهاني، وأطلق عليه شيخ العربية ولد سنة (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م)، وتوفي سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٨م)[١٥٩]، والمفضل بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، وله العديد من المصنّفات منها:(مفردات القرآن)، و(افانين البلاغة)، و(المحاضرات) [١٦٠]، والحسين بن إبراهيم أبو عبد الله الملقب بذي اللسانسين (ت: ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م)، كان من أئمة اللغة بأصفهان من مؤلفاته: (دستور اللغة المستعملة المعتمدة الماثورة)[١٦١].

كما راج الأدب في أصفهان ويعود ذلك الى تشجيع سلاطين السلاجقة، ووزرائهم للشعراء والكتاب، وكان بعض الوزراء على درجة كبيرة من البلاغة مثل نظام الملك، كما أنّ استخدام الصوفية للنثر والشعر الفارسي في مؤلفاتهم أدى الى ازدهار الأدب الفارسي، وكذلك كان للصراع المذهبي كان له دور كبير في ازدهار الأدب الفارسي في ذلك العصر، وصّنفت الكتب

العلمية باللغة الفارسية على يد أهل المذهب تتضمن الرد على خصومهم، وذم معتقداتهم وامتداح مذهبهم[١٦٢]، كما أن إنشاء المدارس أدى الى تدريس اللغة العربية، واحتلال علوم اللغة العربية مكانة مرموقة في المدارس ما أدى الى نهضة أدبية، وقد امتزجت اللغتين العربية، والفارسية وتجلى الاعتزاز باللغة العربية في العصر السلجوقي فنظم بها أدباء الفرس، وافتخروا بها حتى صاروا يلقّبون ب ذي اللسانين، وكثر عدد أدباء الفرس الذين كانوا يجيدون العربية، كما أجاد العرب اللغة الفارسية، والفوا بها رغم أن الطابع العربي كان هو الغالب[١٦٣].

وبرز في أصفهان كثير من الشعراء كان بعضهم مُقربًا من السلاطين والوزراء نذكر منهم: الحسين بن علي بن عبدالصمد الطغرائي كان من أبرز الشعراء الأصفهانيين، وصف بأنه كان آية في الكتابة، والشعر وأنه حامل لواء النظم والنثر، وكان يسمى بالإسناد لغزارة علمه خدم السلطان ملكشاه، وكان صاحب ديوان الإنشاء في عهد السلطان محمد بن ملكشاه، واستوزره السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه، وامتدح العماد الأصفهاني شعره، وله قصائد كثيرة في مدح سلاطين السلاجقة، وله قصيدة أيضًا في مدح نظام الملك[١٦٤]، ومن أدباء أصفهان أيضًا: الحسين بن علي عبدالصمد الطغرائي توفي (٥١٥هـ/ ١١٢١م) وكان حامل لواء النظم والنثر قال عنه العماد الأصفهاني أنه فاق أهل عصره في النظم والنثر[١٦٥]، والأديب هارون بن محمد بن هارون بن محمد أبو غالب الأصفهاني(ت: ٤٩١هـ/١٠٩٨م) كان أديبًا بارعًا عاش في أصفهان[١٦٦].

كما برز الاهتمام بالتدوين التاريخي، وتنوّعت المواضيع التي تصدى مؤرخوا أصفهان للكتابة فيها، وكان أغلب هؤلاء المؤرخين يتصّفون بالموسوعية حيث اختصوا بعدة علوم، وصّنفوا بالإضافة في التاريخ في علوم أخرى، ومن أبرز هؤلاء المؤرخين نذكر: مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الأصفهاني، وكان معاصرًا للسلطان الب أرسلان، ومن بعده للسلطان ملكشاه بن الب أرسلان، وقام المافروخي بتدوين كتاب عن تاريخ أصفهان سماه " محاسن أصفهان"، تحّدث فيه عن محاسن أصفهان، وخصائصها، وأحوالها، ووصف مدنها وقراها، وأحوال أهلها خلال فترة حكم السلاجقة[١٦٧]، والمؤرخ المحّدث أبو زكريا يحيى بن عبدالوهاب بن محمد اسحق الأصفهاني(ت:٥١١هـ/ ١١١٨م) من مُصّنفاته التاريخية" تاريخ أصفهان"[١٦٨].

وفي مجال الطب والصيدلة: ظهر عدد من الأطباء ممن مارسوا هذه المهنة بأصفهان نذكر منهم: الطبيب أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن علي الأصفهاني، وكان من الأطباء المشهورين، توفي بأصفهان في نيف وثلاثين وخمسمائة للهجرة[١٦٩]، والطبيب أبو الفضل المظفر بن أحمد، وكان مُقربًا من السلطان ملكشاه، وكذلك تربطه علاقة ود مع وزيره نظام الملك[١٧٠]، وكان غالبية الأطباء ذو دراية بصناعة الأدوية، وزرعت في أصفهان العديد من النباتات الطبية التي كانت تستخدم في صناعة الأدوية مثل الزعفران[١٧١]، وكان في كل بيمارستان صيدلية ملحقة بها يطلق عليها (خزانة الشراب)، وكان يشرف عليها طبيب أو خبير صيدلاني، كما كانت الأدوية تصنع في دكاكين العطارين[١٧٢].

كما برع آخرون في العلوم الرياضية من الحساب، والهندسة وكانت لهم فيها مؤّلفات قيمة نذكر منهم: أبو المعالي محمد بن مسعود القسام الذي تفرد بعلم القسمة، والمساحة وتوفي بعد الستين والخمسمائة[١٧٣]، ومحمد بن لمرة الأصفهاني الحاسب، وكان رجلاً فاضلًا في أهل هذه الصناعة، وله كتاب (الجامع في الحساب)، وقد تطور علم الحساب على يديه آنذاك[١٧٤].

وفي علم الفلك أو كما كانت تعرف بعلم الهيئة[١٧٥]، كان للفلكيين، والمنجمين مكانة عالية لدى سلاطين السلاجقة، ولكنهم كانوا أحيانًا يتعرضون للمعاقبة اذا ما أخطأوا في حساباتهم[١٧٦]،وكان السلاجقة لا يبرمون أمرًا ولا يخوضون حربًا إلا بعد الرجوع لأراء الفلكيين والمنجمين، وعرف عن السلطان ملكشاه أنه كان مُولعًا بعلم الفلك، والتنجيم حيث أقام هذا السلطان ووزيره نظام الملك مرصدًا فلكيًا في أصفهان سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين، وأنفق أموالًا طائلة، وبقي المرصد يعمل الى أن مات السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، وبطل بعد موته، وكان السبب في بناء ملكشاه ذلك المرصد أنه كان يريد أن يجعل عيد النيروز بداية السنة الجديدة، وأطلق على هذا التقويم اسم التقويم الجلالي[١٧٧]، وكان للسلطان ملكشاه منّجمه الخاص، وهو بهرام ومعه مجموعة من المنجمين يشيرون الى السلطان بمحاسن الأيام في الخروج الى الصيد أو الحروب أو تعيين موقع المحراب عند بنائه جامعًا ، كما حدث عندما بنى جامع السلطان ببغداد[١٧٨]، ومن مشاهير المنجمين في أصفهان في العصر السلجوقي: أبو المناقب عبدالله بن شاكر المعداني (ت: ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م) كانت له اليد الطولى في عمل النجوم.[١٧٩]

وفي علم الفلسفة والكلام فقد أصابها الانهيار، وتراجعت كثيرًا بسبب موقف علماء الدين من علوم الأوائل، وكذلك اهتمامهم بالدرجة الأولى بالعلوم الدينية واللغة، كذلك موقف

السلطة من الفلاسفة، وقد تعرض الكثير من الفلاسفة للمضايقات والسجن والمصادرة، وحرقت مصّنفاتهم مثلما حدث مع مؤيد الدين إسماعيل الطغرائي[١٨٠]، على عكس علم الكلام الذي انتشر وازدهر وهو الذي يتناول العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة، وعرف ابن خلدون علم الكلام قائلاً: "هو علم يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد عن مذهب السلف وأهل السنة ..." [١٨١]، شهدت أصفهان تقدمًا ملحوظًا العقلية إلا أنها لم تضاهي العلوم النقلية التي كان الاهتمام بها كبيرًا ، إلا أن ما يؤسف له أن النهضة الحضارية للسلاجقة، والإنجازات الحضارية، والفكرية التي تحققت على أيديهم تعرضت لتحديات، ومصاعب كبيرة بسبب الاجتياح المغولي، والصليبي، فضلًا عن التمردات، والاضطرابات الداخلية.

خَاتمَةٌ

لعّل من أهم الاستنتاجات البحثية التي يمكن الخروج بها:

- تمتعت مدينة أصفهان بمكانة مُهمة لدى السلاجقة عامة، والسلطان ملكشاه خاصة نظرًا لموقعها الجغرافي المتميّز، فضلًا عن طيب مناخها، ومواردها، وخيراتها التي ساهمت في بروزها كأحد الحواضر الإسلامية المشهورة، وهذا ما دفع السلاجقة للاهتمام بها، وكان السلطان طغرلبك قد رحل إليها للاستشفاء، كما زاد الاهتمام بها في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي الذي اتخذها مقرًا، وعاصمة لمملكته.
- بلغت الدولة في عهد ملكشاه ذروة مجدها، وعظمتها والذي استمر في السلطنة عشرين عامًا تقريبًا استطاع أن يستثمر ما حققه طغرلبك، والب أرسلان على أحسن وجه، وأصبحت مدينة أصفهان في عهده مركزا من مراكز الإشعاع الثقافي، وعرف عنه دعمه، ورعايته للعلماء وطلبة العلم، وأنشئت في عهده العديد من المساجد، ومدارس النظاميات، والمكتبات، كما بنى بها ملكشاه مرصدًا فلكيًا، ومنشآت خدمية أخرى كثيرة، مما أدى الى نهضة علمية لم يسبق لها مثيل.
- من العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية بأصفهان هو سياسة التسامح التي انتهجها السلطان ملكشاه، ووزيره نظام الملك مع أصحاب المذاهب، والقوميات المتنوعة بمدينة أصفهان، فقد استقر بالمدينة كثير من الفرس، والترك، واليهود، والعرب، ووجد بها أيضًا العديد من أصحاب المذاهب الإسلامية، كالحنفية، والشافعية، والحنابلة، والشيعة، وعاش الجميع في سلام، ووئام، وأدى ذلك إلى تلاقح الأفكار، وازدهار الحركة العلمية في أصفهان.
- عُرف عن السلطان ملكشاه، ووزيره نظام الملك اهتمامهما بالحركة العلمية، ودعمهم للعلماء، وتشجيعهم للمجالس العلمية، والمناظرات، وإكرام العلماء، والإنفاق عليهم، مما كان له أبلغ الأثر على إنعاش الحركة العلمية في أصفهان.
- كانت الرحلة العلمية في طلب العلم تمُثل جانبًا مُهمًا في ذلك العصر، وكان للرحلات العلمية أثر فاعل في النهضة العلمية التي شهدتها المدينة، وغدت مركزًا من مراكز الإشعاع العلمي، والحضاري رحل إليها الكثير من العلماء وطلبة العلم.
- تميّز ذلك العصر بازدهار العلوم الدينية، والأدبية، كما برز الاهتمام ببعض العلوم العقلية كالفلك، وذاع صيت كثير من العلماء الأصفهانيين، وانتشرت مُصنفاتهم خارج أصفهان.
- شكّل الباطنية من الإسماعيلية الشيعة مصدر خطر، وتهديد على السلاجقة في مدينة أصفهان، وقاموا باغتيال السلاطين، والوزراء، والعلماء السنة مما دفع السلاجقة الى التصدي لهم، ومحاربتهم بشتى الطرق، والوسائل.

الاحالات المرجعية:

(١) تعددت الألفاظ، والآراء حول تسمية أصفهان، فنطقها البعض أصفهان، أو اصبهان، بفتح الهمزة، وعند الفرس (اسباهان)، وتعددت اشتقاقات التسمية، ومعانيها، فعند البعض هي ذات مدلول ديني نسبة الى أصفهان بن فلوخ بن لنطي بن يونان بن يافث، أو نسبة الى أصفهان بن فلوج بن سام بن نوح، بينما هناك من يرى أن أصفهان مشتق (آسفاه آن)، وتعني بالفارسية جنود الله، وهناك من فسّر التسمية بأنها كلمة مرّكبة من مقطعين: الاصب، هان، وتعني بلاد الفرسان، وكانت تسمى قديمًا ايرانشهر أو شهرستان، وبعد أن عمرّت سميت جَيّ بالفتح ثمّ التشديد ومعناها الطاهر، ومن التسميات التي عرفت بها المدينة عبر تاريخها: "انزان، كما كانت تسمى كابيان، كابيه في العهد الأخميني، وكانت مقرأ لاقامة ملوكهم، ووردت في كتابات بطليموس باسم ابادان، ابادانا، اصبانة" إلى غير ذلك من التسميات والأراء. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت: ١٩٩٠)، ١/ ٢٧٠-؛ عماد الدين أبو الفداء، **تقويم البلدان**، (بيروت: د/ت)، ص٣٣٣؛ الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار** (بيروت: ١٩٨١)، ص٤٣؛ المافروخي، محاسن أصفهان، (طهرات:د/ت)، ص٩٢؛ ميرزا حسن جابري أنصاري، **تاريخ أصفهان**، (طهران:١٣٧٨هـ)، ص٤.

(٢) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، **مدينة أصفهان في العهد الصفوي**، دراسة في اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٩، ص٢١.

(٣) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك** (القاهرة:١٩٧٧)، ١/ ٤٥٤؛ القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، (بيروت:د/ت)، ص٢٦٩.

(٤) أو ما اصطلح على تسميته في العصر السلجوقي بعراق العجم، تمييزًا له عن القسم الاسفل من بلاد ما بين النهرين أو عراق العرب، وقد أشار ياقوت أن تسمية العجم في أيامه غلط، وقد استعمل هو نفسه الاسم القديم فقال (اقليم الجبال)، وأشار القزويني الى ما يرادفه بالفارسية فسماه قوهستان أي (إقليم الجبال)، ومهما يكن من أمر فان تسمية الجبال قد بطل استعمالها بعد الغزو المغولي. للمزيد. ياقوت، **معجم البلدان**، ١/ ٢٦٩؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص٢٢٨؛ كي لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية** (بغداد:١٩٥٤)، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٥) ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** (دمشق:١٩١٨)، ٣/ ٧٥٥؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ١/ ٢٦٩.

(٦) أبو نعيم، **أخبار أصفهان**، أو ذكر أخبار أصفهان(بيروت: ١٩٩٠)، ١/ ٣٢-٣٣.

(٧) ابن الفقيه، مختصر البلدان(ليدن: ١٩٦٧)، ص ٢٩٣.

(٨) ياقوت، **معجم البلدان**، ١/ ٢٧٠.

(٩) القزويني، **أثار البلاد**، ص ٢٩٦.

(١٠) الاصطخري، **المسالك والممالك** (بيروت:١٩٦١)، ص ١١٧.

(١١) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص٤.

(١٢) ابن حوقل، **كتاب صورة الأرض** (القاهرة: د/ت)، ص ٣٠٩.

(١٣) ياقوت، **معجم البلدان**، ١/٢٦٩.

(١٤) ناصر خسرو، **سفرنامة** (القاهرة:١٩٩٣)، ص ١٥٥.

(١٥) ابن الفقيه، **تاريخ البلدان**، ص٢٥٤

(١٦) ابو نعيم، **ذكر أخبار أصفهان**، ص٣٢.

(١٧) ياقوت، **معجم البلدان**، ١/ ٢٧١.

(١٨) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك** (ليدن:د/ت)، ص٢١؛ أبو نعيم، **اخبار أصفهان**، ١/ ٣٤.

(١٩) ياقوت، **معجم البلدان**، ١/ ٢٧٠؛ وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، **مدينة أصفهان**، ص٢٦-٢٧.

(٢٠) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص ٣٠٩.

(٢١) اليعقوبي، **البلدان**، (بيروت: ١٤٢٢هـ)، ص ٨٦؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ١/٢٧٢.

(٢٢) الراوندي، **راحة الصدور وآية السرور**، (بيروت: ١٩٦٠)، ص٢٠٦؛ البنداري، **تاريخ دولة آل سلجوق** (بيروت: ١٩٨٠)، ص٥٨.

(٢٣) ناصر خسرو، **رحلة**، ص١٥٤.

(٢٤) **معجم البلدان**، ١/ ٢٧١.

(٢٥) القزويني، **أثار البلاد**، ص ٤٤٢.

(٢٦) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٥٤.

(٢٧) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ٧٠؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ١/٢٧٢.

(٢٨) الاصطخري، **المسالك**، ص ١١٨؛ المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ٧؛ القزويني، **أثار البلاد**، ص٤٤٣.

(٢٩) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص ١٥٤.

(٣٠) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص ٣٠٩.

(٣١) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص ٣٠٩.

(٣٢) الاصطخري، **المسالك**، ص ١١٧.

(٣٣) اختلفت المصادر في تحديد السنة التي فتح فيها المسلمون أصفهان، كما تباينت الأراء في فتحها هل فتحت صلحًا؟ عنوة؟ فقد ذكرت بعض المصادر أنها فتحت سنة (١٩هـ/ ٩٤٠م)، بينما أشارت أخرى الى أن فتحها كان سنة ٢١هـ، ٩٤٢م، أو سنة ٢٣هـ/ ٩٤٤م. وكان قائد فتحها هو عبد الله بن عبد الله بن عتبان ثمّ لحق به ابو موسى الاشعري. للتفاصيل ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان** (بيروت: د/ت)، ص ٤٣٩؛ الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ٢/ ١٣٩؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ١/ ٢٧٣.

(٣٤) الطبري، **تاريخ الرسل**، ٩/ ٤٨٨.

(٣٥) القزويني، **آثار البلاد**، ص ٢٨٣.

(٣٦) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص ٣٨٩.

(٣٧) بن حوقل، **صورة الأرض**، ص ٣١٥؛ القزويني، **أثار البلاد**، ٤٤٢.

(٣٨) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص ٣١١.

(٣٩) ابن خرداذبة، **المسالك**، ص ٢٠.

(٤٠) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** (القاهرة: ١٩٩١)، ص ٣٨٨؛ ياقوت، **معجم**، ١/ ٢٧٢.

(٤١) ابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، ص ٢٩٧.

(٤٢) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص ٣٩٤.

(٤٣) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص٨-٩.

(٤٤) الطبري، **تاريخ الرسل**، ٧/ ٤٩٥.

(٤٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**(بيروت:١٩٨٢)، ٨/ ١٨٨.

(٤٦) ابن الأثير، **الكامل**، ٨/ ٢٩٣؛ ابن كثير، **البداية والنهاية** (بيروت:١٩٧٧)، ١٢/٦٣.

(٤٧) ابن الأثير، **الكامل**، ٨/ ٢٩٣.

(٤٨) ناصر خسرو، **رحلة**، ص ١٧٤.

(٤٩) راوندي، **راحة الصدور**، ص٩٤.

(٥٠) ناصر خسرو، **رحلة**، ص ١٧٤.

(٥١) كان لالب ارسلان ستة من الأبناء، اياز، تكش، بوري برس، تتش، ارسلان ارغو، وكان لملكشاه النصيب الأكبر من تركة أبيه حيث آلت اليه السلطنة بعد أبيه. البنداري، آل سلجوق، ص٤٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٨/ ٣٧٦.

(٥٢) ابن الأثير، **الكامل**، ٨/ ٣٠٤.

(٥٣) الحسيني، **زبدة التواريخ**، أو **أخبار الأمراء والملوك السلجوقية** (بيروت: ١٩٨٥)، ص١٢١.

(٥٤) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص١٠٢.

(٥٥) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ١٠٢.

(٥٦) ابن حوقل، **صورة الارض**، ص ١٠٩؛ القزويني، **اثار البلاد**، ص ٢٩٦.

(٥٧) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ١٠٣.

(٥٨) عبد الهادي محبوبة، **نظام الملك**، (القاهرة: ١٤١٩هـ)، ص ٣٤٥.

(٥٩) الحسيني، **زبدة التواريخ**، ص ١٢٢.

(٦٠) الحسيني، **زبدة التواريخ**، ص ١٢٢.

(٦١) الراوندي، **راحة الصدور**، ص١٩٨-١٩٩.

(٦٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (القاهرة:د/ت)، ٥/ ١٣٥.

(٦٣) الراوندي، **راحة الصدور**، ص ٢٠٠.

(٦٤) ابن الأثير، **الكامل**، ٨/ ٤٢٤.

(٦٥) البنداري، **تاريخ آل سلجوق**، ص٥٨-٦٠.

(٦٦) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ص١٠٣.

(٦٧) الراوندي، **راحة الصدور**، ص ٢٠٦.

(٦٨) وسن عبد العظيم الايدامي، **مدينة أصفهان**، ص٤٦.

(٦٩) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ٥/ ١٣٥.

(٧٠) أحمد كمال الدين حلمي، **السلاجقة في التاريخ والحضارة**، (الكويت: د/ت)، ص٤٥.

(٧١) ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول** (بيروت: ١٩٥٨)، ص١٩٣.

(٧٢) للمزيد يُنظر: الراوندي، **راحة الصدور**، ص٢٧-٢٨؛ أحمد كمال الدين حلمي، **السلاجقة**، ص ٤٢-٤٦.

(٧٣) على الرغم من المتاعب التي واجهها طغرلبك في فتح أصفهان. إلا أنه انتهج مع أهلها سياسة حكيمة، اتصفت بالرأفة، والعدالة، وخفف عن كاهل أهلها بأعفائهم من الضرائب مدة ثلاث سنوات. المافروخي، محاسن أصفهان، ص ١٠١.

(٧٤) ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** (بيروت: ١٩٩٢)، ١٦/ ٨٥.

(٧٥) الراوندي، **راحة الصدور**، ص١٦٠؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (بيروت:د/ت)، ٥/ ٦٦.

(٧٦) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ١٠١.

(٧٧) ابن الأثير، **الكامل**، ٦/ ٣٨٨.

(٧٨) ابن الجوزي، **المنتظم**، ٦/ ١٣٥.

(٧٩) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٥/ ٧٠.

(٨٠) الحسيني، **زبدة التواريخ**، ١٢١-١٢٥؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٥/ ٢٨٤.

(٨١) الحسيني، **زبدة التواريخ**، ص ١٢٥.

(٨٢) ابن الأثير، **الكامل**، ٨/ ٤٢٤.

(٨٣) الراوندي، **راحة الصدور**، ص ٢٠٦.

(٨٤) الراوندي، **راحة الصدور**، ص ٢٠٦.

(٨٥) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ١٠١.

(٨٦) **مسجد أصفهان**، وهو مدرج على قائمة التراث العالمي منذ سنة ٢٠١٢، أنشاه الفاتحون المسلمون سنة (٢٣هـ/ ٦٤٤م) في معبد للنار للمجوسية، وكان أول أمره مسجدا صغيراً ثمّ هدم، وبني مراراً، فعلى سبيل المثال قام الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٢-٨٤١م) بتوسيع بناءه ، وترميمه سنة (٢٦٦هـ/ ٨٤٠م)، كما أمر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) أمير أصفهان سنة (٣٠٧هـ/ ٩١٩م) بزيادته مرة أخرى، وفي عهد السلاجقة قام السلطان ملكشاه بترميمه، واليه يعزى بناء قبة المسجد البديعة سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٨٠م، ولم يبق من المسجد الجامع في أصفهان اليوم إلا جدرانه. للمزيد يُنظر: ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص ٣٠٩؛ أبي نعيم، **ذكر أخبار أصفهان**، ج١/ ص٣٦.

(٨٧) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٣٨١.

(٨٨) المافروخي، **محاسن**، ص٨٤.

(٨٩) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٥/ ٢٨٥.

(٩٠) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٦/ ٤٠٨.

(٩١) عباس قبال، **الوزارة في عهد السلاجقة** (الكويت: ١٩٨٤)، ص٢٥٤.

(٩٢) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/ ٤٥٨.

(٩٣) السبكي، **طبقات الشافعية** (بيروت: د/ت)، ٤/ ١٧٦.

(٩٤) ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، (بيروت:١٩٨٣)، ٥/ ١٢.

(٩٥) ابن الجوزي، **المنتظم**، ١٦/ ٢٣٧.

(٩٦) البنداري، **آل سلجوق**، ص٧٠.

(٩٧) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٥/ ٢٨٤.؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٢/ ١٤٢.

(٩٨) ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** (بيروت:د/ت)، ٣/ ٣٧٧؛ ابن كثير، **البداية**، ١٢/١٤٢.

(٩٩) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/ ٣٦٤.

(١٠٠) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٣١٩.

(١٠١) نظام الملك الطوسي، **سياسة نامة**، (بيروت: ٢٠٠٧)، ص١٠١، ٣٠، ٣١.

(١٠٢) الطوسي، **سياسة نامة**، ص٩٠.

(١٠٣) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/ ٤٨.

(١٠٤) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٣١٣.

(١٠٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، / ٨/ ٤٦٢.

(١٠٦) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٣١٧.

(١٠٧) عبد الهادي محبوبة، **نظام الملك**، ص٣٨٢.

(١٠٨) الطوسي، **سياسة نامة**، ص ٩٠.

(١٠٩) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٣١٠.

(١١٠) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص١٠٤.

(١١١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٤/ ٤٥٣.

(١١٢) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٣/ ٣٥٩.

(١١٣) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٥/ ١٢٢.

(١١٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ١٦/ ٣٠٦.

(١١٥) ابن الجوزي، **المنتظم**، ١٧/٢٢.

(١١٦) الباخرزي، **دمية القصر وعصرة أهل العصر** (الكويت: ١٩٨٥)، ص٣٠٤.

(١١٧) الحسيني، **زبدة التواريخ**، ص١٤٢.

(١١٨) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٣١٣.
(١١٩) المافروخي، **محاسن أصفهان**، ص ١٠٥.
(١٢٠) السبكي، **طبقات الشافية**، ٤/ ٣١٤.
(١٢١) عبد الهادي محبوبة، **نظام الملك**، ص ٣٩٨.
(١٢٢) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٣١٢-٣١٤.
(١٢٣) عبد الهادي محبوبة، **نظام الملك**، ص ٥١٤.
(١٢٤) مريزي سعيد عسيري: **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي** (مكة المكرمة: ١٩٨٧م)، ص٢٥٣.
(١٢٥) مريزي سعيد عسيري، **الحياة العلمية**، ص ٢٥٣.
(١٢٦) أحمد كمال الدين حلمي، **السلاجقة في التاريخ والحضارة**، ص ٢٢٣.
(١٢٧) أحمد كمال حلمي، **السلاجقة**، ص ٢١٩.
(١٢٨) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٢/ ٦٨-٦٩.
(١٢٩) شكران خربوطلي، "**الحياة الفكرية في اقليم خراسان في ظل سلاطين ووزراء العصر السلجوقي**"، بحث مجلة دراسات تاريخية، كلية الآداب، جامعة دمشق، ١٢. ٢، العدد ١١٧-١١٨، ص١٩٢.
(١٣٠) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/ ٣١٥.
(١٣١) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٥/ ١٧٠.
(١٣٢) ابن الجوزي، **المنتظم**، ١٧/ ١٩٠-١٩١.
(١٣٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٢/ ١١٢.
(١٣٤) عبد الهادي محبوبة، **نظام الملك**، ص٣٥٤.
(١٣٥) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٣١٣.
(١٣٦) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٥/ ١٧٤.
(١٣٧) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٥/ ٢٩٧.
(١٣٨) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٢/ ١٢٣.
(١٣٩) السبكي، **طبقات الشافعية**، ٤/ ٦٢.
(١٤٠) ابن الجوزي، **المنتظم**، ١٦/ ٢٩٢.
(١٤١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ٣/ ١٩٩.
(١٤٢) الداودي، **طبقات المفسرين**، ٢/ ٣٢٩.
(١٤٣) ياقوت، **معجم البلدان**، ١/ ٢٧٣.
(١٤٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (بيروت: ١٩٩٢)، ١٩/ ٤٨٦.
(١٤٥) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٣/ ٤٠٨.
(١٤٦) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٣/ ٤٠٧.
(١٤٧) الذهبي، **سير أعلام**، ١٩/ ٤٧٥؛ ابن العماد، **شذرات**، ٤/ ٥٣.
(١٤٨) الذهبي، **سير أعلام**، ٢١/ ١٥٢-١٥٥.
(١٤٩) ابن الجوزي، **المنتظم**، ١٧/ ١٦٨.
(١٥٠) عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام** (بيروت: د/ت)، ١/ ١٤.
(١٥١) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٣/ ٣٦٨.
(١٥٢) ابن الجوزي، **المنتظم**، ١٧/ ١١٣؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٤/ ٤.
(١٥٣) ابن يعلى البغدادي، **طبقات الفقهاء الحنابلة**، (القاهرة: ١٩٩٨)، ٢/ ٣٢٤.
(١٥٤) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٤/ ١٦٣.
(١٥٥) ياقوت، **معجم الأدباء**، (بيروت: ١٩٨٠)، ١٣/ ١٦٥-١٦٦.
(١٥٦) القفطي، **أنباه الرواة**، ٣/ ٢٠٠.
(١٥٧) القفطي، **انباه الرواة**، ٣/ ١١١.
(١٥٨) عبد الهادي محبوبة، **نظام الملك**، ص٢٤٩-٢٥٠.
(١٥٩) الذهبي، **سير أعلام**، ١٩/ ٦٢.
(١٦٠) السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (بيروت:د/ت)، ٢/ ٢٩٧.
(١٦١) القفطي، **انباه الرواة**، ١/ ٣٥٥.
(١٦٢) أحمد كمال الدين حلمي، **السلاجقة**، ص ٢٥٢.
(١٦٣) محمد محمود إدريس، **تاريخ العراق والمشرق الاسلامي خلال العصر السلجوقي**، (القاهرة: ١٩٨٥)، ص٢٧١.
(١٦٤) عماد الدين الأصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم أصفهان وخراسان، (طهران:١٩٩٩)، ص٦٢-٦٣؛ ابن العماد، **شذرات**، ٤/ ٤١-٤٣.
(١٦٥) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، / ٢/ ١٨٥؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٤/ ٤٢.
(١٦٦) القفطي، **انباه الرواة**، ٣/ ٣٦٣.
(١٦٧) المافروخي، محاسن أصفهان، **المقدمة**.
(١٦٨) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٤/ ٣٢.
(١٦٩) عمادالدين الأصفهاني، **خريدة القصر**، ص ٢٢٣.
(١٧٠) عمادالدين الأصفهاني، **خريدة القصر**، ص ٢٢٣.
(١٧١) القزويني، **اثار البلاد**، ص ٢٩٦.
(١٧٢) عبد المنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، (القاهرة: ١٤٢١هـ)، ص٢٥٩.
(١٧٣) السيوطي، **بغية الوعاة**، ١/ ٢٤٤.
(١٧٤) القفطي، **انباه الرواة**، ص١٨٨.
(١٧٥) **علم الهيئة أو الفلك**: وهو العلم الذي يهتم وينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة بطرق علمية وهندسية دقيقة. ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٢٨٧. ومن الالات التي كان المسلمون يستخدمونها لمراقبة النجوم الاسطرلاب، وقام علماء الفلك المسلمون بترجمة الكتب الفلكية من اليونانية والهندية، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، (القاهرة: ١٩٨١)، ص ١٣٤.
(١٧٦) أحمد كمال الدين حلمي، **السلاجقة**، ص ٣٩٥.
(١٧٧) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/ ٤٠٨-٤٠٩..
(١٧٨) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/ ٤٧٥.
(١٧٩) عماد الدين الأصفهاني، **خريدة القصر**، ص٤٠٢.
(١٨٠) ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٤/ ٤٢-٤٣.
(١٨١) ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٤٥٨.